الطقس الثالث عشر ظل سيركونفالاريا

توفيق كامل

رواية

نبذة عن الرواية:

رواية "الطقس الثالث عشر ظل سيركونفالاريا" هي رحلة سوداوية في أعماق النفس البشرية، تدور أحداثها في قرية منسية تدعى "فالدينتا"، حيث يُمارس دين قديم وسريّ يقدّس الألم ويعبد إلهاً صامتاً يُدعى "سيلينو". بطل الرواية، "إليريو"، شاب كان يحمل قلباً نقيًا، يشهد مذبحة طقسية لعائلته على يد جماعة تدعى "سيركونفالاريا"، فيبدأ تحوله النفسي والجسدي من ضحية إلى كائن سادي، بارد، يبحث عن الحقيقة من خلال الجنون. الرواية تستكشف فلسفة الألم، وعقائد دموية، وتقدم شخصيات غريبة، مشوهة، تعيش في عالم لا يفصل بين القداسة و الوحشية، وبين الخلاص والهلاك.

نبذة عن الكاتب

توفيق كامل، كاتب عشريني من الجزائر يعيش في الهامش الهادئ بين الفلسفة والخيال، حيث تنمو الأسئلة أكثر من الأجوبة. ليس من أصحاب الأضواء، ولم تصنعه الجوائز أو الصخب الإعلامي، بل صاغته قراءاته، وحدته مع اللغة، وقلقه الوجودي العميق.

يميل في كتاباته إلى الغوص في الطبقات النفسية المعتمة، وتحليل الإنسان في لحظات انكساره، وتشظيه، وخضوعه لما لا يُقال. لا يكتب للترفيه، بل ليستفزّ، ليوقظ، وربما ليترك ندبة في وعي القارئ.

روايته هذه هي أولى خطواته المنشورة، لكنها تحمل ملامح تجربة فكرية طويلة، ومحاولة حقيقية لتجاوز السطح ... نحو الجوهر — حتى وإن كان مظلمًا.

يؤمن أن الأدب لا يُكتب ليرضي، بل ليكشف.

تحذير :

هذا العمل روائيّ خالص من وحي الخيال، لا يستند إلى أي معتقد ديني أو ثقافي حقيقي، ولا يعكس مواقف المؤلف أو أي جهة واقعية.

جميع الطقوس، الرموز، الفلسفات، التنظيمات، والأحداث المذكورة في هذا النص تم اختراعها لأغراض فنية وسردية فقط.

الرواية تنتمي إلى أدب الظلال، حيث تتقاطع الفلسفة مع العنف، وتُعرّي النفس من وهم الطمأنينة.

ليست مخصصة للراحة، بل للغوص في الهشاشة الإنسانية والانهيار الداخلي.

القراءة موجهة للبالغين – وتحمل طابعًا نفسيًا وفلسفيًا مظلمًا.

الفصل الأول : الملاك الأخير

فالدينتا

في رُكن نسيه الزمن في قلب المدن القديمة، حيث تتكسر أشعة الشمس عبر سحب قاتمة وتنتشر رائحة الرطوبة والدم في الهواء، توجد قرية فالدينتا. ليست قرية عادية، بل قطعة من عالم مظلم اختنق في أزمنة لا يجرؤ على ذكرها سوى الأرواح الضائعة. كان منازلها تصطف كجثث متداعية تحت سماء معتمة، وجدرانها تشهد على صمت طويل مليء بالسر والرعب.

هناك، بين أصوات الرياح التي تعوي كأنها تنهش لحوم الأشباح، عاش إليريو شاب في الثامنة عشرة من عمره، جسده هزيل كغصن في عاصفة، وروحه تحمل ثقل عصورٍ لم تكتب في الكتب، حيث لا مكان للبراءة ولا للرحمة. كان إليريو طفلا عاديا، بعيون واسعة تنظر للحياة ببساطة لا تشوبها ظلمة، وكان قلبه ينبض بنبض ٍ هادئ، يحلم بالحرية، بالفرار من هذه القرية التي تبتلع الناس كما تبتلع الأرض الأمطار.

لكن الحرية كانت حلما بعيدا، وسياج القدر كان مشدودًا عليه بلا هوادة.

في تلك القرية، لم يكن الموت غريبا، بل هو طقس سنوي، لعنة لا تترك مكانا للشفقة. كان على سكان فالدينتا تقديم قربان بشري في كل عام ليرضي قوة غامضة قديمة، ظلت تدير مصيرهم بأياديها العفنة. كان الطقس الذي يسمونه "طقس النبع الدموي" طقسا أكثر وحشية من كل ما عرفته أساطير الفايكينغ، حيث الدماء لم تكن تسكب فقط، بل تذرف، تمزق الأجساد، وتهدر الأرواح في مظاهر من التعذيب والإذلال لم تر في التاريخ.

إليريو وعائلته لم يؤمنوا بتلك الطقوس، لم يفهموا كيف لأناس يمكن أن يعبدوها كإله، لكنه لم يكن لهم خيار. في تلك السنة، قررت القرية أن عائلته ستكون ضحية القربان، ليس لأنهم فعلو خطيئة، بل لأنهم كانوا آخر من تبقى من العائلة، والأبرياء أكثر من يحمل ثقل هذه اللعنة.

في ليلة سكنت فيها صرخات الريح، وتحولت السماء إلى سحب سوداء من الغضب، وقف إليريو في زاوية البيت، عيونه تتابع والديه، كيف استعدوا لطقس الموت. لم يستطع أن يفهم كيف يمكن لمن يحبك أن يقدم نفسه ذبيحة.

بدأت الطقوس، وكانت الدماء أولى اللغات التي تحدثت في ذلك الظلام. والده، رجل قوي كان يعرف بلطف قلبه، جلد حتى تقطعت أوصاله. أصوات تمزق الجلد وخرير العظام المكسورة تردد صداه في أنحاء القرية كما لو كان صدى لعالم تحت الأرض. والدته، التي لم تغادر جانب زوجها لحظة، جلدت هي الأخرى بوحشية هي الأخرى امام ناظري إبنها الوحيد

ثم جاء الإذلال، ليس فقط الجسدي بل النفسي أيضا. استخدمت رموز قديمة لحبس الروح، رُسمت طلاسم على الجدران وعلى أجسادهم، كل منها يحمل لعنة تجرح أعماق القلب. أجبروا على التكرار، بصوت متهدج، عبارات اعتراف بالذنب لم يرتكبوها، حتى غرق صوتهم في صراخ الموت.

إليريو، في ركنه الصغير، شاهد ذلك كله بعينين مفتوحتين على اتساعهما، قلبه انفجر ولم يصدق أن هذا يحدث أمامه، أمام عينيه الحاسرتين على والديه.

لم يكن هذا فقط موتا لوالديه فقط، بل بداية موتٍ داخلي ، بداية انهيار إنسانية إليريو.

في تلك اللحظة، ولدت في روحه فكرة غريبة، سوداء، كما لو أن الظلام نفسه نزل ليسكن أعماقه: "هل تكون ا لحقيقة أن الجحيم ليس مكانا بعيدا، بل هو هنا، يعيش في نفوسنا، في قرية مسكونة بالخوف والدم؟"

صراخ والديه كان يتردد في أذنه بعد أن سقطا ميتين، يتراقص مع أصوات الريح التي أصبحت همسات أرواح الضحايا التي لم تجد طريقها إلى السلام. أرواح تحوم حول بئر قديم في قلب الغابة، حيث تخزن المنظمة أسرارها وأرواح من ضحوا، أرواح لا تهدأ، تغني أغاني العذاب.

إليريو لم يدرك أن تلك اللحظة ستكون نقطة التحول، أن طفله الطيب سيموت تحت أنقاض صدمة لم تشفى، ليولد من بين رماد الألم وحشا لا يعرف الرحمة.

هذه ليست قصة إنسان واحد فقط، بل صراع أبدية بين النور والظلام، بين براءة قتلت وحشية ولدت.

وهكذا بدأت أسطورة إليريو، وحش فالدينتا.

بعد تلك الليلة، لم يعد إليريو يعرف معنى الزمن. الأيام تكررت ككوابيس . ضوء الصباح صار ازعاجا، والليل لم يعد راحة، بل مسرحا لصوتين يصرخان في رأسه: والده يهمس باسمه بين تكسر الأضلاع، وأمه تردد صلوات لا يسمعها إلا الموتى.

دفنوهما في مقبرة القرية... أو بالأحرى رموهما في حفرةٍ باردة كقلوبهم، حيث الأجساد تدفن بدون أسماء، بلا شواهد، بلا وداع. مجرد جثث لم يعد يراد بها سوى الصمت. بقي إليريو واقفا عند الحافة، ينظر إلى الطين الذي يغطي ما تبقى من حضن، من أمان، من حب. أراد أن يصرخ، لكن فمه كان مختوما بخيط غير مرئي، خيط من الخوف، من الرعب، من انكسار لم يختبره من قبل.

بعض سكان القرية اقتربوا منه، أعطوه كلمات جوفاء، نظرات مريبة، وربتات على الكتف خالية من الرحمة. لم يكن أحد في فالدينتا بريئا تماما. كلهم شهود. كلهم جبناء. الكل كان يعلم أن الدماء ستراق، لكن أحدا لم يعترض. وكل ما فعلوه هو الانحناء أمام الكهنة، أولئك الذين كانوا يلبسون أقنعة حجرية ويتحدثون بلغة منسية.

بعد أيام، بدأت تظهر عليه آثار الغضب العارم الوحدة الإكتئاب الخوف والرغبة بالإنتقام. لم يعد إليريو يبتسم، ولم يعد يتكلم كثيرا. نومه صار متقطعا، يفيق متعرقا كمن خرج من بئر نار. الجدران أصبحت تضيق عليه. كانت أذنه تلتقط أصواتا لا يسمعها غيره: همسات.بكاء مكتوم. صرير أبواب لم تفتح. صرخات تتردد كأنها تأتي من تحت لأرض.وفي الليلة الرابعة، رأى أولى رؤاه. حلم؟ كابوس؟ لا يعلم. لكنه تذكره جيدا.

كان في غابة مشققة، أشجارها سوداء، والسماء تنزف. تقدم بخطى بطيئة، ووسط الظلام لاح له وجه والده، مجروحا، دامعا، لكنه صامت. أراد الاقتراب، فاختفى الوجه، لتحل مكانه يد سوداء من دخان، امتدت نحو صدره، ونبشت قلبه بلا رحمة. صوتٌ ما قال له:

"الحب يموت بالصمت... والإيمان يقتل بالسكين".

استفاق مرعوبا. وعلى صدره، حيث رآى اليد في الحلم، وجد خدشا حقيقيا، أحمر، نازف.

هل بدأ يفقد عقله؟ أو هل بدأ يراهم حقا؟ أولئك الذين ماتوا ولم يرتاحوا؟ الأرواح التي ترفض النسيان؟ لم يعد واثقا، لكنه بدأ يدوّن. في الليل، جلس على الأرضية الخشبية، وكتب بكلمات متقطعة، محمومة:

"أراهم. كل ليلة. كل وجع. يتنفسون من جدراني. لماذا أنا؟ من ترك هذه الأرواح معلقة بي؟ هل أصبحت المذبح الجديد؟"

الأسوأ لم يكن في الرؤية، بل في الصوت الذي تكرر بعدها. صوت نسائي رخيم، خافت، لكن مريب. كانت تهمس له من داخل الجدران:

"إنهم لم يذهبوا... إنهم فيك".

كان يشعر بوجودهم. كل من ماتوا في الطقوس القديمة. كل من عذبوا، و عروا، كسرت عظامهم. أرواحهم تتغذى على صدمته، تهمس، تتسلل، تتسرب. ليس كشبح ، بل كفيروس يمزق نسيجه العقلي.

وفي النهار، كان الناس يلاحظون. "إليريو تغير".

نعم، تغير. لم يعد ذلك الشاب الهادئ. أصبح يحدق في الأشياء وقتا أطول من اللازم. يبتسم ابتسامة بلا معنى.

يكتب في دفتر أسود لا يتركه حتى أثناء الأكل. يتكلم أحيانا مع نفسه، أو مع شيء لا يراه أحد.

بدأ يرتدي ملابس داكنة. أصبح يبتعد عن الناس. حتى الأطفال في القرية صاروا يخافونه، يقولون إنهم رأوه يتكلم مع ظله، ويضحك بلا سبب.

لكنه كان يعرف. التغيير قادم. شيء ما استيقظ فيه، شيء وُلد من النار والجلد والدموع.

وفي كل مرة يمر قرب البئر القديمة تلك التي تتوسط أطلال معبد مهجور يشعر بحرارة في دمه، كأن هناك نداء داخلي، صوت غامض يطلب منه أن يقترب، أن يسمع، أن يتعلم.

قال لنفسه بصوتٍ خافت:

"لقد بدأت. التحول ليس لحظة... إنه نزيف طويل".

ولأول مرة، ابتسم.

لكنها لم تكن ابتسامة إنسان

بل بداية فجر لوحش.

مرت الأيام

وفي ليلة باردة جلس إليريو على أرضية غرفته، محاطا بصمت لا يشبه الصمت.

أغمض عينيه... ففتح أحدهم فمه.

"هل تسمعني؟"

الصوت هذه المرة لم يكن همسا، بل جرحا يفتح ببطء داخل رأسه.

لم يرتعب. لا بعد الآن. لم يعد الرعب غريبا عليه، بل صار صديقه، رفيقه، موسيقاه الخلفية.

في الحائط، انشق شرخ. منه تسرب ضوء أحمر قاتم. لم يكن ضوءًا بل نبضا، نابضا كقلب مدفون تحت البلاط.

من هناك، تسللت أصوات. لم تكن كلمات... بل شهقات مذبوحين، تئن في اللغة القديمة.

"…Ilierio… tu non sei più figlio della luce"

سمعها واضحة. بلغة لم يتعلمها يوما، لكنها انغرست فيه كإرثٍ دموي.

"أنت لم تعد ابن النور..."

نهض لا إراديا

اقترب من الجدار. وضع كفه على الشرخ، فأحس بحرارة لحم بشري.

ومن هناك... رأى ما لا يجب أن يرى.

فرأى "الطقس الثالث عشر."

طقس لا يجرى علنا. لا يعرفه إلا "كهنة النور الأسود."

لم يكن تضحية... بل استدعاء.

في قبو سري تحت المعبد، يختار جسد واحد من بين أبناء القرية — غالبا طفل — ويتم ربطه في "كرسي الذل"، المصنوع من عظام المضحين القدامى.

ثم يبدأ الطقس:

الجلد بالعظام: لا يستخدم سوط، بل عظام أيدي الميتين، يضرب بها الأعضاء الحساسة.

كسر المرآة: يوضع وجه الضحية أمام مرآة، ويجبر على ترديد اسمه حتى يكرهه. ثم تكسر المرآة وتطعن ا لشظايا في خده.

زرع الديدان: يفتح جسده، وتدخل ديدانٌ سوداء في الجروح، ترمز إلى "تطهير الجسد عبر التآكل." ا

الطقوسي: تخاط الشفاه بالخيط المقدس، حتى "يصمت الخوف" داخل الضحية.

احتضان الروح: يترك الضحية لساعاتٍ محاطا بالأرواح التي استحضرت عبر أصوات المعذبين السابقين. ي سمح لهم أن "يتكلموا من خلاله."

وهكذا، يتحول الجسد من إنسان إلى "مضيف للصرخة الأولى"، يصبح وعاءً لما يسمونه "السكينة النقية"... وهي ليست إلا الهذيان النهائي قبل الموت.

إليريو رأى كل ذلك. لم يعرف كيف. لم الآن؟ لم هو؟

لكن في داخله، اشتعل شيء.

رغبة... لا في الانتقام فقط، بل في الفهم.

رغبة في لمس جوهر هذا الجحيم، أن يغوص فيه، أن يصبح جزءًا منه... ثم يحرضه على أكل ذاته.

بدأ يكتب في دفتره الأسود:

"لقد رأيت طقسهم الثالث عشر. هم لا يصلون... هم يأكلون الأرواح. يفتحون الأجساد ليروا الإله في الداخل.

ليس لهم معابد... بل مسالخ.

وهم لا يكرهون الألم... بل يحبونه أكثر من أي صلاة".

في الصباح، طرق باب كوخه رجل غريب.

رجل نحيف، يحمل جرة طينية، عيناه محروقتان من الداخل.

قال:

"أنت الآن تراه، أليس كذلك؟"

رد إليريو، بابتسامة ٍ لا

تشبهه: "أراه... وأفكر أن أقطع

قلبه".

الرجل انحنى، وهمس:

"ستأتيك الأرواح... فقط لا تغلق عينيك هذه المرة".

واختفى.

في تلك الليلة، فتح إليريو النافذة، وجلس يستمع.

لم يعد يبحث عن النوم.

بل ينتظر الفصل القادم من جحيمه.

في صباحٍ لا يشبه الصباح، حين بدا أن الشمس قد خجلت من نفسها واختبأت خلف سحب كأنها كفن معلق، جلس إليريو على العتبة الحجرية، بعيونٍ لا تبحث عن ضوء بل عن ظل أكثر سوادًا.

كان الدفتر الأسود في حجره، والصفحة فارغة، كأنها تنتظر اعترافا جديدا من رجل بدأ يفقد بشريته.

في رأسه، لم تكن الأفكار، بل أصوات... الأصوات التي تسكن بين الأحرف، بين النبضات، بين نفس و نفس.

"أنا لا أكتب... أنا أتقيـ ـأ ما تبقى مني".

اقترب منه صبي . أو ما بدا كصبي وجه مستدير، لكن ملامحه لم تكن واضحة... كأنها تغيرت كثيرا ولم تستقر على شكل. يحمل قفصا صغيرا فيه طائر بلا منقار.

قال الصبي: "هل تعرف لماذا ينتف ريش الروح قبل أن تدخل إلى الحفرة؟"

لم يجب إليريو. بل نظر إلى الطائر، ثم همس: "

لكي لا تطير... لكي تبقى حبيسة الألم".

ضحك الصبي، بصوتٍ لم يكن لصبي . كان مجروحا، كصوت رجل اختنق بمرآة.

قال: "أنت تبدأ في الفهم... لكنهم يراقبونك، يا إليريو. العيون الثلاثة فتحت، والدم أصبح مرآة".

ثم ناوله القفص، وقال: "خذه، حين يختفي الطائر، ستفتح البوابة. لا تخف من الأصوات، بعضها أنت".

واختفى، كسراب تشكل من ظلالٍ ممزقة .

في تلك الليلة، لم ينم.

جلس بجوار القفص. الطائر بلا منقار، بلا صوت، ينظر إليه بنظرات تشبه نظرات أمه قبل أن تذبح. مزيج من ا لرجاء والكراهية .

ثم سمع صوتا جديدا. لم يكن من الجدران، ولا من رأسه.

كان من أرضية الغرفة.

"تحته مباشرة، نقشت أول آية من كتاب 'الخراب الرحيم'... هل تريد أن تقرأها؟"

نهض إليريو ببطء، ثم ركع.

كانت هناك نقوش صغيرة، محفورة بإبرة في الحجر. بصعوبة قرأ الكلمات، بلغة مكسورة، مرعبة:

"كل ما لم يؤلم، ليس حقيقيا. وكل ما لم ينزع بالقوة، لا يستحق أن يعبد".

مد يده، ولمس النقش.

فاهتز القفص.

الطائر اختفى.

لكن بدلا منه، كان هناك لسان بشري.

ملتف، رطب.

نظر إليه إليريو، بلا رعب، بلا دهشة.

قال في نفسه:

"حتى الرموز صارت تنزف بدل أن تفسر. أنا في قلب الطقس الآن... ولم أبدأ بعد".

في الفجر، خرج إلى الغابة لا ليهرب، بل ليصغي.

الهواء مشبع برائحة الحرق القديم، كأن الأرواح تشوى في النسيم.

وهناك، على صخرةٍ بيضاء، جلس رجلواخر.

ضخم، أصلع، مغطى بالوشوم، عيناه سوداوان بالكامل. كان ينهش صفحة من كتاب مقدس بأسنانه، ويبتلعها ببط

رد إليريو، ببرودة:

"ما الإنسان سوى كتابة فاشلة. اكتبوني من جديد... بالحبر الذي تصرخ به الجروح".

ابتسم نيسروفو. ثم بصق على الأرض، وكان البصاق من دم.

قال: "إليريو... أنت لا تسير نحو الظلام. أنت تنبت منه".

فى الليلة التالية، لم يكن هناك نوم.

كان جسده ممددًا، لكن روحه واقفة، كأنها تنتظر استدعاءً.

على حافة السرير، جلس إليريو، يكتب:

"أنا لا أبحث عن معنى... بل عن الألم الأصدق

الأشياء التي لا تذبحني لا تثبت وجودها".

عند منتصف الليل، فتح باب كوخه دون أن ينهض.

كان الهواء هو من طرق هذه المرة، محملا برائحة الرماد والرموز المنسية.

دخل نيسروفو.

لم يتكلم. فقط أخرج من كيس جلدي قطعة قماش... مرسوم عليها دائرة، بداخلها يد بشرية تمسك بلسانها ا لمقطوع.

قال: "هذه صلاتهم. حين تنتهي الكلمات، يبدأ الإيمان".

ثم اقترب، ووضع القماشة على صدر إليريو، كأنها تعويذة... أو ختم.

وقال: "من الآن، كل ما تراه ليس هلوسة. بل تعميد".

في الساعة الثالثة، بدأت الأرض تصدر طنينا خافتا. كأن تحتها، شيءٌ ينشد.

إليريو سمع صوتا جديدا. أنثوي. واهن. يخرج من تحت الأرض.

(تعال إلى القاع... تعال حيث تنزف الروح)

فتح كفه، فرأى الجلد يذوب ببطء، ليكشف وشما لم يره من قبل: صليب مقلوب، تتدلى منه أعين.

ارتجف إصبعه... لا من الخوف، بل من الجاذبية.

**

مع الشروق، اصطحبه نيسروفو إلى قلب الغابة، حيث يقبع "بئر الروح" – المكان الذي يقال إن كل من مات في الطقوس، صرخ داخله مرة أخيرة.

كان البئر محاطا بتماثيل مشوهة: وجوه دون أعين، أجسادٌ مطعونة بآياتٍ مقدسة، وأفواهٌ تخيطها خيوط من شعر بشر ميت.

قال نيسروفو، دون أن ينظر إليه:

"من يقترب من الحافة، يسمع من ماتوا، لا ليحزن، بل ليتذكر... أنه التالي".

اقترب إليريو. أغمض عينيه.

ومن البئر، صعدت أصوات... ليست أصوات بكاء، بل ضحك.

ضحك مختنق، متداخل، ملوث برائحة الموت.

ثم سمع اسمه: "إليريو..."

فتح عينيه، فرأى وجه أمه

لكن وجهها كان معكوسًا، كأن أحدهم جلده ولبسه من الداخل.

قالت، دون شفتين: "لست غاضبة... بل فخورة. أنت تموت بشكل جميل".

**

عاد إلى الكوخ ومعه في قلبه شيء لم يكن فيه من قبل.

شهوة... لا للدم، بل للفهم من خلال الدم.

جلس أمام الدفتر، وكتب:

"أمي ماتت مطهرة. أبى صرخ للسماء فلم تأتِ. أما أنا... فأنا أستدعي الأرض. صرتُ أ

حلم بلحظة تكسر فيها روحي كمرآة، لأرى ما خلفها".

**

في تلك الليلة، حلم إليريو بكهف مليء بالمرايا.

لكن كل مرآة فيها كانت تعكسه مشوها:

واحد منها يبتسم بثلاثة أفواه، آخر يعانق نفسه حتى يختنق، ثالث يغرس شوكة في رأسه ويضحك.

ثم سمع صوت نيسروفو في الحلم: "اختر واحدا، وسنبدأ الطقس الثالث عشر".

استفاق... والمرآة التي على الجدار كانت مغطاة بشقوق لم تكن فيها من قبل.

اقترب منها.

ورأى انعكاسه يتلوّى، لا ثابتًا، بل كما لو أن الصورة فيه تصرخ كي تُحبَس.

همس نيسروفو من خلف الباب، دون أن يفتح:

"لقد اخترت المرآة الثالثة... الطقس الثالث عشر يبدأ دائمًا دون وعي كامل."

فتح إليريو الباب ببطء.

لكن لم يكن هناك أحد.

فقط رائحة خشب محترق... وموسيقى خافتة تأتي من تحت الأرض، كأن الأرض نفسها تتذكر نغمة قديمة.

**

في الخارج، كانت الغابة تتحرك.

نعم، تتحرك.

الأشجار تنكمش، تتلوى، جذوعها تُصدر أنينًا كأنه بكاء أطفال تُدفن وهم أحياء.

ومع كل خطوة، كان يسمع صدى صراخٍ قديم... ليس من الغابة، بل من داخله.

**

اقتاده الصوت إلى مدخل كهف، غير موجود في الخريطة، ولا في ذاكرة أحد.

كان محفورًا في الصخر، وفوقه كتابة غريبة لا تُقرأ، بل تُشعَر:

"الطقس الثالث عشر: تذوّق نفسك."

**

دخل.

ولأول مرة، لم يخَف.

بل كان يشعر بفضولٍ غريب... فضول يشبه الجوع.

الجدران من الداخل كانت مرايا.

لكن كل مرآة فيها تعكس لحظة مختلفة من ماضيه:

مرآة تظهره طفلًا يبكي أمام جثة طائر ميت،

أخرى تظهره يسرق كتابًا مقدّسًا ويبتسم،

وثالثة... تظهره وهو يُدفن حيًا، ويضحك.

ثم ظهرت مرآة أخيرة... كانت مغطاة بشراع جلدي، كأنها سجينة.

اقترب، ورفع الغطاء.

ورأى نفسه.

لكن ليس كما هو الآن.

بل كما سيكون بعد النهاية.

وجه ملوّث بالرماد، عينان بلا بياض، وفمٌ يخيط نفسه بخيوط سوداء.

وانعكاسه قال له:

"الطقس الثالث عشر ليس ذروة... بل بداية الزحف."

**

ثم رأى يديه تتحركان من تلقاء نفسيهما.

سحب شوكة صغيرة من الأرض... نفس الشوكة التي رآها في الحلم.

وغرسها في راحة يده.

الدم خرج... أسودًا، سميكًا، كأنه حبر.

وكتب به على الجدار:

"اللحم يكذب. الروح وحدها تقول الحقيقة. وأنا بدأت أسمعها."

**

في اللحظة التي أكمل فيها الكتابة، انفتح باب خلفي في الكهف، من لا شيء.

ومن الداخل، خرجت رائحة مزيج من دم قديم... وبخور طقسي خانق.

وصوت نيسروفو، هذه المرة واضحًا، قال:

"أهلا بك في جوف الحقيقة. الطقس الثالث عشر... قدّس."

دخل إليريو الغرفة الجوفية.

كانت لا تشبه أي شيء في العالم الخارجي.

الجدران، ليست صخرًا... بل لحمًا.

ينبض.

يتنفس.

وكانت الأنوار تأتي من تجاويف في السقف، يقطر منها سائل فسفوريّ، كأن الكهف يفرز الضوء كما تفرز الجراح القيح.

**

في الوسط، منصة حجرية، عليها كتاب ضخم.

ليس له غلاف.

بل كان مغطى بجلد بشري، محفور عليه وجهٌ مشوّه بعين واحدة مفتوحة، والأخرى مقلوعة.

عنوان الكتاب محفور لا بالحروف، بل بالمسامير:

"نصّ الأ ُسْخُوطِ الأول"

اقترب إليريو.

شعر أن الهواء أصبح أكثر كثافة، كأن الدخول في هذا الجزء من الكهف يعني نزع شيء داخلي... كأن شخصًا آخر يحلّ محله ببطء.

**

فتح الصفحة الأولى.

فخرج من بين الأوراق صراخ.

حرفيًا.

كأن الصراخ كان محبوسًا فيها، منذ قرون.

ثم قرأ:

"سيلينو لم يُخلق... بل تسرّب.
تسرّب من حلمٍ نسي أن يصحو،
من عقلٍ حبس نفسه ليمنع النور،
من روحٍ فشلت أن تنسى."

كل سطر كان يكتب نفسه من جديد، بدمٍ يتدفّق ببطء على الصفحة، كأن الكلمات حيّة، ومريضة.

**

ثم تغير الخط.

الآن النص يخاطبه، لا يروي:

"أنت لست قارئًا. أنت ضحيّة تعلمت أن تكتب.
وها أنت تقرأ صراخك قبل أن تصرخ."

إليريو تراجع خطوة.

لكن الصوت في رأسه تقدّم خطوة:

"الطقس الثالث عشر لا يحتاج منك أن تفهم... بل أن تذوب."

**

أغمض عينيه.

وحين فتحهما، لم يكن في الكهف.

كان على مشنقة.

نفسه، يتدلى أمامه.

لكنه لم يكن ميّتًا.

بل ينظر إليه... ويبتسم، بشفاه مقطوعة.

**

ثم ظهر نيسروفو.

بهيئة جديدة.

رأسه مغطى بقناع من عظام أطفال، ويداه تقطران شمعًا أحمر.

قال:

"لكي تُكمل الطقس... يجب أن تكتب وصيتك لنفسك قبل أن تُمحى."

ناول إليريو عظمًا حادًا بدل القلم.

**

كتب على الجدار:

"إلى أنا الآخر:
إن عدتَ للحياة، لا تثق بالنور.
من ذاق الظلمة، يعرف أن الحقيقة تحترق إن أُضيئت.
وإن رأيتَ إنسانًا... اختبر دمه.
لا أحد يبقى نقيًا بعد أن يرى الرب الصامت."

**

فتح عينيه فجأة.

وعاد إلى الكهف.

الكتاب ما زال مفتوحًا، لكن الآن لا يقطر دمه... بل دمُه هو، من يده التي جرحتها دون أن يدرك.

وثقش على الصفحة بخطّ متآكل:

"أتممتَ النصف.
الطقس الثالث عشر لم يُختَم بعد.
بقي أن ترى نفسك تموت... وألا تحاول النجاة."

**

خارج الغرفة، سمع قرعًا خافتًا.

صوت أقدام... لا بشرية.

قال نيسروفو من العدم:

"ما سيأتي ليس اختبارًا... بل مرآة لن تنكسر.
استعد... للوجه الثاني منك."

كان الظلام ينتظر.

لا كغرفةٍ خالية، بل ككائن جائع.

كلما خطا إليريو نحو باب الكهف الخلفي، شعر أن عظامه تتقلص، كأن جسده يتهيّأ لشكلٍ آخر... شكل لا يصلح للبشر.

**

وحين تخطّى العتبة، أغلق الضوء خلفه.

لا مجازًا.

بل فعليًا.

كأن الكهف بلع أنفاسه الأخيرة، وقرر: "من هنا، لا عودة."

**

من بعيد، سُمع خرير.

لكنّه لم يكن ماءً.

بل أصوات جماجم تتدحرج، وتضحك بصوتٍ خافت.

ثم، من الظلمة... خرج فارو أنتا.

لم يكن إنسانًا.

ولا وحشًا.

بل شيئًا وُلد من ندمٍ قديم، وتركه الكهنة ليتعفّن في الظل.

كان جسده ممزقًا من كل الجهات، لكن جراحه لا تنزف.

بل تبتسم.

كل جرح فيه كان فمًا صغيرًا، يهمس بكلمات مقلوبة لا يفهمها إلا من كفر بعينيه.

**

قال بصوت مشقوق:

"هل أتيت لتراني... أم لترى ما ستصير إليه؟"

اقترب إليريو، رغم أن كل جزء في داخله قال له اهرب.

لكنه لم يعد يثق بغريزته.

الغريزة تموت بعد أول دم يُراق عن وعي.

**

قال فارو أنتا:

"أنا الذي هرب من الطقس السابع... وظننتني حرًا.
لكن الرب الذي لا يتكلم... لم ينسَ اسمي."

ثم رفع يده — كانت عظمًا فقط — وأشار إلى صدر إليريو.

قال:

"أنت تحمل بدايتي في داخلك... وستكملني."

**

فجأة، ارتفع صوت الصراخ.

من كل الاتجاهات.

لكنه لم يكن صراخ ألم.

بل صراخ تذكر.

تذكر الطقوس، التوسلات، الجثث التي وُضعت قرب البئر ولم تُدفن... فقط لتُراقب.

إليريو سقط على ركبتيه.

ورأى الأرض تتحول إلى مرايا صغيرة.

كل مرآة تعكس مشهدًا من مستقبله... وهو يُعذّب، يُجلد، يضرب غيره، يضحك وهو يشقّ وجهه بنفسه.

**

قال فارو أنتا:

"الطقس الثالث عشر... ليس اختبارًا.
إنه عدوى.
أنا ماضيك الذي تسلل من المستقبل.
وسأبقى... حتى تصبح اسمي."

ثم بدأ يذوب.

ببطء.

كما يذوب الحبر في الدم.

**

وفي تلك اللحظة، فهم إليريو.

الطقس الثالث عشر لم يكن ليُمرر إليه.
بل ليصنعه.

هو الآن ليس مجرد تابع.
بل شرارة طقسٍ جديد.

طقس لن ينتهي إلا إذا احترق العالم.

**

عاد نيسروفو، وفي عينيه ظلّ لم يكن موجودًا من قبل.

قال بهدوء:

"الفصل الأول انتهى.
الآن... نبدأ بنزع الرحمة."